

## من روائع سير الشهداء صلواتهم قبل استشهادهم

القديس أغناطيوس الأنطاكي :

“ أحد الآباء الرسولين سنة 107م ”

“ أنا حنطة الله !! فلاضرس بأسنان الوحوش حتى أصير خبزاً طاهراً للمسيح ، مرحباً بالنار والصليب والوحوش الضارية ، والتمزيق والتقطيع وخلع العظام وسحق الجسد كله ، فلتقع عليّ أشر الضربات المبتكرة من إبليس ، إذا كانت كل هذه من شأنها أن تُعِدِّي لأن ألتقي بيسوع المسيح ، هذا الذي أسعى إليه ، ذاك الذي مات عناً ، هذا هو من أريده الذي قام لأجلنا ، إني أحس الآن بالآلام المُخاض ، ترفقوا بي يا إخوتي لا تحرموني من الحياة الحقيقية ، لا تسعوا في تعطُّل موتي ، اتركوني ألحق بالنور الحقيقي دعوني أقتدي بالآلام إلهي ” .

هذه هي مشاعر ونفسية شهيد كنيسة أنطاكية ، وتلك هي كلماته القلبية التي سجَّلها لنا التاريخ ، علاوة على رسائله الفريدة من نوعها في الأدب المسيحي خلال العصور الأولى ، لأنها كُتبت وهو مُقَيَّد بالسلاسل ، ومُحاط بعشرة جنود ( شَبَّهَهُم بالفُهود ) يُشَدِّدون الحراسة عليه ، هذه الرسائل تحتوي على تماجيد وأدعية موجَّهة للثالوث القدوس .. إنه يُصَلِّي للأب بيسوع المسيح ابنه بعد أن امتلأ من الروح القدس ، إنها صلوات سهمية تلقائية تتضمن الشكر والاعتراف والشهادة ..

الشهيد بوليكاربوس ( الكثير الثمار ) :

“ أسقف سميرنا ( 167م ) ”

كان يُناهز السادسة والثمانين من عُمره لحظة القبض عليه ، وقيل عنه أنه اشتهى الآلام في موته كما في حياته فامتاز باستشهاده الرائع .

وعندما وصل الجنود المُكلفون بالقبض عليه ، كان الطالب الوحيد الذي ترجاه منهم هو أن يسمحوا له بساعة زمن يصلي فيها ، وفي صلاته ذكر كل من علافه على الإطلاق وكل الكنيسة الجامعة في كل المسكونة .

أوثقوه وشدَّوه إلى قطعة من الخشب مثبتة في الأرض ويدها وراء ظهره ، وكأنه حَمَل مُختار مُفرز من بين قطيع كبير عظيم لكي يكون ذبيحة ومُحرقة مقبولة لدى الله ، وعندئذٍ رفع عينيه إلى السماء وقال :

“ أيها الرب الإله الضابط الكل ، أبا يسوع المسيح ، ابنك المحبوب المُبارك ، الذي به عرفناك يا إله الملائكة والنفوس ، يا إله كل خليفة ، وكل جنس الأبرار الذين يحيون في حضرتك ، أباركك لأنك جعلتني أهلاً لهذا اليوم ولهذه الساعة ، وأهلاً لأن أحسب في عِدَاد شُهدائك ، ولأن أشارك في كأس مسيحك ، والقيامة في الحياة الأبدية لكل النَّفس والجسد ، والحياة بالروح القدس ، الحياة التي لا تقبل الفساد ...

ليتني اليوم مقبولاً معهم فرباناً عزيزاً في عينيك حسب ما أعددتني لذلك مُسبقاً وأنبأتني ، وها أنت قد أكملت وعدك ، يا إله الأمانة والحق ..

من أجل نِعمتك ومن أجل كل شئ أسبِّحك وأباركك وأمجِّدك ، برئيس كهنتنا الأبدي السمائي يسوع المسيح ابنك الحبيب الذي به يليق لك وللروح القدس المجد .. ” .

وعندما طُلب من القديس بوليكاربوس الذي يعني اسمه “ المزهَر أو المُثمِر أو الكثير الثمار ” أن يلعن المسيح مُخلِّصنا رد على مُضطهديه قائلاً : 0

“ لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاماً ، ولم يصنع بي شراً ، فكيف أجِدِّف على ملكي الذي خلَّصني !؟

إنك تُهدد بالنار التي تحرق إلى حين ثم تُخمد ، لأنك تجهل نار العقاب الأبدي المُعد للأشرار .. افعل ما تُريد ولا تتأخر .. ” .

فصار جسده لا جسم يُحرق بل كخبز ينضج وذهب وفضة يُنقى في فرن يشتم منه رائحة العطور .

**شهداء ليون عام 177م :**

## “ The Martyrs of Lyons ”

في صيف 177م حدثت واحدة من أفزع الضيقات في تاريخ الكنيسة الأولى ، وقد حُفظت لنا هذه القصة ، في التاريخ الكنسي ليوسابيوس القيصري ( الكتاب الخامس في الفصول من 1 - 3 ) .. وهذه الضيقة بسبب ما تصفه من بساطة واخلاص وقبول عذابات مُرعبة جزءاً لا يُضارع في تاريخ الكنيسة .

وهذه رسالة كنيسة ليون التي تتحدث عن أعمال شهدائها : 0

“ كانت تقودنا نعمة الله إلى ساحة الجهاد والاستشهاد ، وعندما تتحدث عن أحد شهداء ليون الجديرين بالإعجاب يُدعى يونتيسيوس ، نقول : أنه وصل إلى ملء المحبة من نحو الله ومن نحو القريب ، أي من نحو الآخرين أيّاً كانوا ، لقد بلغ إلى كمال حقيقي في أسلوب حياته ، حتى أنه ، بالرغم من حدائته ، قد حَقَّق المثل الأعلى ، يسير في كل طريق ووصايا الله وأوامره دائماً بلا لوم ، مُبادراً بلا كلل إلى خدمة القريب ، مُتقدماً بالغيرة في بذل حياته كلها لله حاراً بالروح ... وبقية الشهداء ظلوا راسخين في الإيمان غير مُترعزين رغم شدة العذاب وتنوعه ” هؤلاء ، فإن الذي خَفَّف من وطأة الألم عليهم فرحة الاستشهاد ورجاء المواعيد المُنتظرة ومحبتهم للملك المسيح وللروح الباراقليط ” .

وفي الواقع لم يكن الشهداء بلا افتقادات من النعمة الإلهية بل كان الروح القدس لهم مُشيراً ... حتى أن أسقف طاعن في السن ( بوثن ) بالغ من العمر تسعين سنة ، كان جسده يدب فيه الدُبول بسبب الشيخوخة ، لكن السيّد المسيح حفظ روحه قوية لينتصر في حرارة الروح ورغبة الاستشهاد ...

والعبدة الضعيفة الواهية بلاندينا أخدمت بشجاعة أولئك الذين كانوا يتناوبون على تعذيبها بكل نوع من الصباح حتى المساء ، حتى أنهم أنفسهم أقرُّوا أنهم هُزموا ، لكن هذه المُطوبة وكأنها بطل شديد البأس ، داومت على الجهر باعترافها بالإيمان مرة أخرى مُتشددة بينبوع الماء السمائي المُحيي الخارج من جنب المسيح .. وكان جسدها الجدير بالشفقة شهادة حيّة لما حدث ، ومع هذا كان المسيح الذي يتألم فيها يعمل الأعاجيب الكبيرة ، مع أنها عبدة ضعيفة مُزدرى بها ، إلا أنها توشحت بالمُصارع الذي لا يُقهر ربنا يسوع المسيح ، فرحة مُتهللة كمدعوة إلى حفلة عُرس وليس للإلقاء للوحوش في حديث مُتبادل مع رب المجد ، فصارت لإختها كعظة صامته .. ولا يمكن لمرور الزمان أن يحجب مجد شهداء ليون ، بل وتُعتبر بلاندينا Blandina من بطلات الاستشهاد في العالم كله ، وكان الشهداء يقبلون التعذيب الجسدي على أنه أمر طبيعي ، سواء ألقوا بهم في حجرات السجون المُظلمة القذرة ، أو أمام هدير صيحات الجمهور الغاضب في المُدرجات الرومانية .

ويروي أحد الناجين عن الشماس سانكتوس Sanctus ، أن أوصاله كانت تحترق ، ولكنه لم ينحن ولم يخضع لأنه كان يتقوى بالنبع السمائي ، نبع ماء الحياة النابع من جسد المسيح ، وهكذا كان الأمر مع باقي الشهداء .

وتُعتبر رسالة ليون من أشهر ما كُتب في الأدب المسيحي ، فقد جعلت للشهداء طغمة مُنفردة ، وكان الموت فقط هو ما يجعل المسيحي شهيداً كامل Perfect Martyr ، ورفض الشهداء أن يُلقبوا بلقب “ شهيد

” قبل أن ينالوا إكليل الشهادة ، وكانوا ينظرون لأنفسهم على أنهم مجرد مُعترفين حقيرين Humble Confessors لأنهم لم يُكْمَلوا شهادتهم بعد ، وقد أفصحت نهاية الرسالة عن الوداعة والاتضاع والحب الذي تحلّى به هؤلاء البررة :

“ ولكن إذا ما دعاهم أحد ” شهداء ” سواء في رسالة أو خطبة كانوا يُوبخونه ، لأنهم كانوا يُقدّمون لقب الشهادة فقط للمسيح الشهيد الصادق الأمين ، الحقيقي وحده ، البكر من الأموات ، رئيس الحياة وملك الدهور ، وكانوا يُذكّروننا دائماً بالشهداء الذين أكملوا شهادتهم فعلاً ، ويقولون : “ هؤلاء هم شهداء فعلاً ، الذين تعطف المسيح ومنحهم أن يضمهم إليه عند اعترافهم ، بعد أن ختموا ودمغوا شهادتهم بختم رحيلهم من العالم ، لكننا نحن مُعترفون ذليلون وحقيرون ” .... وكان شهداء ليون يترجون الأخوة بدموع طالبين منهم أحر الصلوات من أجل تكريسهم ونذرهم وإتمام شهادتهم وكمالها ، وقد أظهروا فعلاً قوّة الشهادة ، وكانت شجاعتهم بأسلة أمام الوثنيين ، مُعلنين نُبلهم وشجاعتهم بتحملهم وعدم خوفهم ... ولكنهم في ذات الوقت كانوا يرفضون لقب ” شهيد ” لأنهم كانوا مملوون من خوف الله ” .

والخشبة التي رُبِطت إليها بلاندينا في المُدرج شُبّهت لعينيها بالصليب ، ورأى المُعترفون بأعينهم الخارجية في مشهد آلام بلاندينا ، السيّد الذي صُلب من أجلهم ... أمّا بلاندينا فرأت مجد الفردوس عياناً ...

### الأسقف فيلكس الشهيد :

تفصح صلاة هذا الأسقف عن نفسية شهداء الكنيسة وقت شهادتهم :

“ أشكرك يارب ، كم أنت رحيم لأنك منحتني هذا الانعتاق ، أشكرك يا الله ، عشت 56 سنة في العالم ، حفظت أنت نفسي في البتولية ، اتبعت وصايا الإنجيل ، بشرت بالإيمان وكرزت للحق وحده ، يارب إله السماء والأرض – يا يسوع المسيح – أيها الطويل الأناة ، أنا أحنى رقبتى كذبيحة لك وحدك ، المجد والعظمة لك دائماً في كل الدهور ” .

### الأسقف إيريناؤس سيرميوم Sirmium :

صلاته لحظة استشهاده : “ أشكرك ياربي يسوع المسيح لأنك ثبنتني في كل ما تعرضت له من الآم أثناء المحاكمات ، وحسب رحمتك وهبنتني نصيباً صالحاً في مجدك الأبدي ، ياربي يسوع المسيح إن رحمتك جعلتك تتألم لكي تُخلص العالم ، افتح سماءك حتى تستلم الملائكة روح عبدك إيريناؤس الذي يتألم الآن لأجلك ولأجل كل الذين هم مدينين لك بحياتهم ، ولكنيستك الجامعة في سيرميوم ، أرجوك أن تصنع معنا صلاحاً أيها الرب الرحيم ، وأن تقبلني وأن تُقويهم في الإيمان بك ” .

### شهداء أبيتين Abitine ( شمال أفريقيا ) 304م :

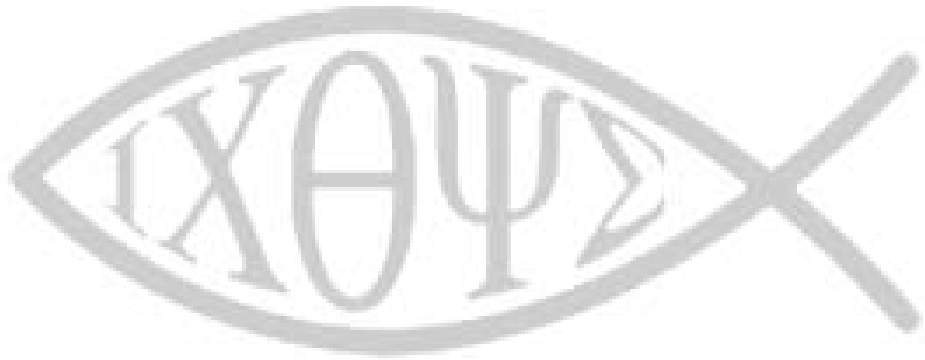
قدّم أحدهم نفسه بفرح إلى الاستشهاد ، وإذ تمزّق بالأمشاط الحديدية صاح قائلاً “ Gratsias نشكر الله ” ، وبينما هو مُضرج في دمائه صلّى هذه الطلبة طالباً الصفح عن مُعذبيه :

“ الشكر لك يا الله ، ابن الله ، بقوة اسمك خُصّ عبدك ، يا الله ضابط الكل لا تحسب هذه الخطية عليهم ، أمّا أنتم فعليكم أن تُطيعوا وصايا الله ، اغفر لهم يا الله من أجل اسمك ، أعطهم القوّة ليتحمّلوا ما أتحمّله أنا ، وخُصّ عبدك من السجن ، سجن هذا العالم ، الشكر لك ، بالحقيقة لا أستطيع أن أشكرك بما فيه الكفاية ، وبما يستحقُّ حبك ، إنّ هذا الألم لمجد اسمك يارب ، أنا أشكرك عليه ... أنت إله كل القوّة ، أيها الرب يسوع المسيح ، نحن مسيحيون ، نحن عبيدك ، وأنت رجاؤنا ورجاء كل المسيحيين ، يا الله الكلي القداسة والكلي العظمة والكلي القدرة والضابط الكل نُسبِّحك ونُسبِّح اسمك ، لا تجعل لي سبب يُؤدي بي إلى الخجل ، أرجوك يا يسوع ارحمني ، يا ابن الله ساعدني ، اقبل تسبّحتي ، خُصني ، لأجلك أتألم وكم أنا سعيد بذلك ، أعطني القوّة لكي أحتمل الآن وإني واثق في أنك سوف تُعطيني الحياة ” ....

### كاربوس وبابيلوس وأچاثونيك :

كان كاربوس أسقفاً وبابيلوس شماساً أمّا أجاتونيك فهي امرأة مُتزوجة وقد أحرقَ الجميع بالنار في  
برجامون بتركيا ، ويُحدّد العالم الألماني Altaner تاريخ استشهادهم خلال حكم أوريلوس أي ما بين ( 161 – 180 ) ، ويقول شاهد عيان :

“ عندما رأى بابيلوس أكوام الخشب المُعدّة للنار رفع عينيه إلى السماء وقال : ( ياربي  
يسوع المسيح اقبل روحي ) وحالما دفعوه في النار نال إكليل الشهادة على الفور، أمّا كاربوس الأسقف فقد  
ربطوه في العمود وعندما أشعلوا النار وبدأت السنة النار تحرقه صرخ بصوتٍ عظيم وقال : ( البركة لك  
ياربي يسوع المسيح ابن الله لأنك جعلتني مُستحقاً أن أشارك معك في هذا المصير ، رغم أنني خاطئ ) ،  
وبعد ذلك أسلم الروح ، وعندما جاء دور أجاتونيك قالت ( يارب ، يارب ، يارب أسرع إلى معونتي لأنني  
ألتجئ إليك كحصني ) ” .



للدراسات الآبائية

<http://www.ixoyc.net>

[frathanasius.george@ixoyc.net](mailto:frathanasius.george@ixoyc.net)